حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٨ (عدد أكتوبر – ديسمبر ٢٠٢٠)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

"البحرين في رحلة بالجريف ١٨٦٢م"

د. فتحي محمد درادكة*

قسم الدراسات الاجتماعية/كلية الآداب/ جامعة الملك فيصل

المستخلص

يتناول هذا البحث البحرين في رحلة بالجريف ١٨٦٢م، حيث يعتبر بالجريف من الرحالة الذين سجلوا انطباعاتهم عن الجزيرة العربية. قسم البحث إلى خمسة محاور أساسية ومقدمة وخاتمة وملحقين. جاء المحور الأول للحديث عن الرحلة والرحالة، والمحور الثاني تحدث عن البحرين كما وصفها بالجريف، وجاء المحور الثالث للحديث عن حكام البحرين أثناء رحلته، وتناول المحورين الرابع والخامس الحياة الاقتصادية والاجتماعية كما صورها بالجريف في البحرين.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٠.

المقدمة:

تتمتع البحرين بموقع استراتيجي مهم في الخليج العربي، وهذا الموقع المهم جعلها مطمعاً لعديد من الدول المجاورة الراغبة بضم البحرين إلى ممتلكاتها، والدول الأجنبية الطامحة بإيجاد موطئ قدم لها في الخليج العربي والشرق. وتعد البحرين من المحطات المهمة في الخليج العربي، وكونها جزيرة في وسط الخليج جعلها أكثر تحصينا من غيرها من المناطق الأخرى، وهذا الأمر من شأنه أن يلفت انتباه الدول الاستعمارية لهذا الموقع المهم والاستراتيجي في الخليج العربي.

وتعتبر كتب الرحالة والمستشرقين نافذة مهمة من نوافذ المعرفة، هذه الكتابات والتسجيلات التي سجلها الرحالة كان الهدف منها استخبارياً لخدمة الاستعمار الغربي، غير أن هذه الكتابات عكست جوانب سياسية واقتصادية، واجتماعية للبلاد العربية، ومع حاجتنا الكبيرة لمثل هذه المعلومات والكتابات التي كتبها الرحالة في ظل غياب الوثائق والسجلات الوطنية في معظم البلاد العربية، هذا الأمر من شأنه أن يزيد من أهمية هذه الكتابات التي دونها الرحالة الغربيون عن بلادنا.

يعتبر بالجريف من الرحالة الغربيين الذين سجلوا عن الجزيرة العربية في مرحلة مهمة من مراحلها، سنحاول في هذا البحث الحديث عن: "البحرين في رحلة بلجريف ١٨٦٢م" وقد قسمنا البحث إلى مقدمة، وخاتمة، وخمسة محاور أساسية، جاء المحور الأول للحديث عن الرحالة والرحلة، والمحور الثاني تحدثت فيه عن البحرين كما وصفها بالجريف، والمحور الثالث تطرقت فيه بالحديث عن حكام البحرين في المدة التي زارها بالجريف، وجاء المحوران الرابع والخامس للحديث عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية كما صورها بالجريف في البحرين.

١. الرحالة والرحلة:

الرحالة:

ولد وليام جيفورد بالجريف (William Gifford Palgrave) عام ١٨٢٦م[١]، وتميزت عائلة بلجريف بنبوغ كبير، فقد كان والدة عالما مشهوراً في الادب والثقافة، وبرز أخوه فرانك (Frank) في جامعة أكسفورد أستاذاً للشعر وقد صنف كتاب: خزينة الذهب، أشهر الكتب البريطانية انتشاراً[٢]، وبرز أخوه الثاني ريجنالد (Reginald) في مجلس العموم البريطاني وكان يشغل منصب: كاتب التحرير فيه[٣].

التحق بالجريف بجامعة أكسفورد وأكمل تعليمة فيها، وبعد ذلك التحق بالجيش البريطاني في الهند (بومباي) في العام ١٨٤٧م، وكان بالجريف غير راضٍ عن سياسة بريطانيا في تعاملها مع الشعب الهندي[٤]، كما انقلب بالجريف من ناحية العقيدة، فقد كان في بداية حياته بروتستانتياً ثم تحول بعدها إلى الكاثوليكية، ثم انضم إلى جماعة الآباء اليسوعيين، وأصبح راهباً في أوروبا عام ١٨٥٧م[٥].

عمل بالجريف في البعثة التبشيرية في بيروت، وكانت هذه فرصة لكي يتعلم اللغة العربية والتي أجادها إجادة تامة، وبعد ذلك عايش المجتمع الشامي[٦]، وقد قام ببعض المهام السرية التي أوكلت له من قبل حكومته، غير أن الحروب الأهلية في لبنان خلال هذه المدة أجبرته على العودة إلى أوروبا، حيث القى عدة محاضرات هناك[٧]، ونتيجة لهذا الأمر فقد ذاع صيت بالجريف حتى أن البابا استقبله[٨]، ثم "نابليون الثالث"(Napoleon III) الذي استقبله استقبالاً جيداً ورأي فيه أنه الشخص المناسب لتنفيذ المشروع الفرنسي الرامي لإيجاد موطئ قدم لفرنسا في الشرق عن طريق إقامة تحالفات مع القوى السياسية في الخليج العربي. وقدم له البابا الدعم المعنوي والمادي لتنفيذ رحلته إلى الجزيرة العربية، ونتج عن هذه الرحلة تأليف كتاب من جزئين حمل عنوان: " قصة رحلة عام عبر وسط الجزيرة العربية (١٨٦٢-١٨٦٣م)، ونشر هذا الكتاب عام ١٨٦٥م، وقد حظِ الكتاب برواج كبير وترجم إلى اللغتين الألمانية، والفرنسية[٩].

بعد الانتهاء من رحلته انتقل للعمل في وزارة الخارجية البريطانية، وتنقل بين بعض الدول إلى أن استقر به المقام في مدينة: "منتفيديو" (**Montevideo**) في جمهورية أوروجواي" في أمريكا الجنوبية، إلى أن توفي في عام ١٨٨٨م[١٠].

تميز بالجريف عن غيره من الرحالة الأوروبيين بزيارته إلى الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية(١٨١٨-١٨٩١م) وهي في أوج قوتها وازدهارها، ومما يميزه -أيضا -أنه أقام مدة طويلة في معظم الأماكن التي زارها حيث إنه صور الأماكن بشكل دقيق جداً[١١].

حدد بالجريف الهدف الأساسي من رحلته هذه في الرغبة في الاستكشا،ف ودراسة سكان الجزيرة العربية من خلال العرق العربي، والبحث عن أحولهم الأخلاقية والظروف الفكرية والسياسية والاجتماعية، والدينية للسكان. أما الجوانب السياسية فتحدث بلجريف عن محاولته تلك بقوله: **"لقد كان يحدوني أمل كبير في الإسهام في شيء من أجل الصالح الاجتماعي لهذه المناطق الشاسعة؛ كان يحدوني أمل تحريك المياه الشرقية الراكدة، حتى تلحق بأنهار التقدم الأوروبي الجارية وتتصل بها...وكذلك الرغبة في الاستكشاف التي تملأ قلوب الإنجليز...عن طريق مدى النفوذ الأوروبي للمنطقة لتثقيف المنطقة، والظاهرة الاستعمارية كانت واضحة بشكل كبير في رحلته، حيث يقول: " ومن الأهمية بمكان أن تكون لدينا فكرة صحيحة عن الشعوب والأمم التي يغلب على الظروف أن تجعلنا أكثر**

اتصالا بها، وكذلك الشعوب التي يحتمل أن نكون -في المستقبل - متحكمين بفضل العناية الإلهية في كثير من أمورها المستقبلية"[١٢]. ولعل الهدف الديني كان واضحا بشكل جلي عن طريق نشر المسيحية وتحقيق الأهداف التي آمن بها، وهي أهداف الجمعية اليسوعية التي انضم لها، حيث يقول : **" حب البشر والناس"**[١٣]. ونستنتج من ذلك أنه كان لدى بالجريف دوافع شخصية (حب المغامرة والاستطلاع)، وسياسية ودينية للقيام بهذه الرحلة إلى الجزيرة العربية، والظاهر أن هذه الدوافع قد تكاملت بعضها مع بعض لتحقيق الرحلة.

وقد تميز بالجريف بميزات عدة ساعدته على إتمام الرحلة بنجاح، حيث كان يتقن عدداً كبيراً من اللغات الحديثة والقديمة إلى جانب لغته الأم، فهو يتقن العربية والفرنسية والألمانية، والإيطالية، واللاتينية، واليونانية القديمة، علاوة على ثقافه واسعة الاطلاع في الأدب والتاريخ[١٤]. تنكّر بالجريف بزي طبيب عربي واتخذ لنفسه أسم "سليمان أو سليم العيص"، وأخذ معه خمسين صندوقاً فيها عقاقير طبية، وعدد من المراجع والكتب الطبية لمساعدته في عملية معالجة الناس. واتخذ من رجل سوري اسمه: "بركات" مساعداً له ورفيقاً في رحلته، وادَّعى أنه زوج شقيقته، وفي بعض الأحيان يطلق عليه صفه المساعد[١٥].

الرحلة

بدأ بالجريف رحلته [١٦] الى الجزيرة العربية، حيث انطلق من مدينة معان[١٧] (الأردنية) إلى الأراضي صوب السعودية الجوف[١٨] ثم حائل[١٩] وصولاً إلى بريدة، ومنها للرياض. ويتحدث بالجريف عن مسيرته من الرياض للأحساء[٢٠] ومنها إلى القطيف[٢١] ثم بحراً إلى البحرين وقطر، ثم عُمان وسواحلها[٢٢]. لا نريد الخوض في تفاصل رحلته من معان إلى عُمان، لكن نورد نصًّا من رحلته يدل على أنه لم يكن مرتاحاً في الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية على الرغم من الحفاوة الكبيرة التي لقيها من أميرها عبدالله بن فيصل[٢٣] والإغراءات التي قدمها له للبقاء في الرياض لممارسة مهنة الطب التي ادعى أنه يتقنها. حيث يقول: **"أمضينا خمسين يوماً تحت أسقف وعلى موائد أولئك الذين لو قدر لهم أن يعرفوا حتى ولو لساعة واحدة حقيقة أمرنا وحقيقة مقصدها، لكانت هذه الساعة قد أنهت رحلتنا وقضت علينا. زد على ذلك أننا كنا مثار شك ومتهمين، وكانوا يقاضوننا، وكنا شبه متهمين، ومع ذلك فقد هربنا من تلك المخالب"**[٢٤].

٢. البحرين كما وصفها بالجريف:

(الجزر، المدن (المنامة، المحرق)

تعتمد حركة السفن على حركة الرياح والإبحار من القطيف الى البحرين، والسفن حتى تبحر إلى البحرين بحاجة إلى رياح شمالية حتى تدفع السفينة باتجاه جزر البحرين، غير أن هذه الرياح لم تهب في رحلة بالجريف إلى البحرين وزاد الأمر سوء العواصف الترابية التي كانت في المنطقة مما أدى الى تأخر الرحلة، وبقيت السفينة اربعاً وعشرين ساعة في حركة متعرجة الى أن لمح بالجريف جزر البحرين عصر اليوم التالي [٢٥]، وهنا نشير إلى أن المسافة بين القطيف والبحرين لا تستغرق هذا الوقت الكبير، غير أن اعتماد السفن في تلك المدة على حركة الرياح جعلها أسيرة لحركة هبوب الرياح.

ويصف بالجريف جزر البحرين بقوله: "ومع دخول المساء كنا قد اقتربنا تماما من هاتين الجزيرتين اللتين تحملان هذا الاسم، والجزيرة الأكبر من هاتين الجزيرتين، هي الجزيرة الجنوبية يطلق عليها اسم: البحرين نظراً لوقوع العاصمة على أرضها، ويفصل بين الجزيرتين ذراع بحرى ضيق يقل اتساعه عن ميل واحد، ومياهه ضحله تماما وقد

شاهدت الخيالة، وشاهدت المشاة....وهم يعبرون هذا الذراع أثناء الجذر، والبحرين هي والمحرق منخفضتان إلى أبعد حدود الانخفاض، والواقع أن المحرق ليست سوى أرض منخفضة ضحلة تبزغ فوق مستوى سطح البحر مباشرة"[٢٦].

ويصف بالجريف تربة المحرق: أنها من النوع الخفيف ورملية، وتتميز هذه التربة بأنها أجف وأصح من تربة البحرين، وفي الجانب الغربي من الجزيرة توجد أرض منخفضة، غير أنها مكونه من تراب لزج داكن اللون، ودرجة رطوبتها عالية جداً مما يجعلها تشبه الإسفنج تماماً [٢٧]. ويؤكد بالجريف أن الاتجاه نحو الشرق حيث توجد مرتفعات ليست بالعالية ولكن يمكن أن نطلق عليها صفة التلال، وهذه التلال منعزلة مما يجعلها تفيد من المسطحات المحيطة بها[٢٨].

ويؤكد بالجريف أن الماء بين القطيف والبحرين من النوع الضحل، ولا يزيد عمقه في أحسن الأحوال على ست قامات (القامة تساوي ستة اقدام)، وأن قاع البحر يظهر واضحاً في معظم الأماكن عند حدوث الجذر، وأما عن الأمواج فلا يخافها الناس؛ لأنها في الغالب -تكون لينة وليست قوية ولا مرتفعه، لكن الخوف يأتي من الارتطام في الأرض وهذا الامر دفع البحارة إلى إلقاء مراسي السفن في الليل لتتوقف السفن، ويكون الإبحار أثناء النهار فقط[٢٩].

المحرق:

يصف بالجريف مدينة المحرق بانها مدينة غريبة تستحق الزيارة، وتتميز بطابعها الغربي الفارسي[٣٠]، ومنازلها الصغيرة الأنيقة، وسوقها المعّبد، ورفوف العرض العالية التي تمتد بطول الجدران، وتأتي المحرق بالدرجة الثانية بعد مدينة المنامة، رغم أن سوق المنامة أقل ازدحاماً ومساحة من سوق المحرق [٣١].

وتقع مدينة المحرق على الجانب الأيمن من الجزيرة التي تحمل اسمها [٣٢]، وهي تشبه شريطاً أبيض طويلا على شاطئ القناة التي تفصل مدينة المحرق عن مدينة المنامة، وتحتل مبانيها موقعاً متوسطاً على الحافة الشمالية للجزيرة الكبيرة. والمحرق هي أجمل المدينتين (البحرين والمنامة) وهي التي تسر الأعين؛ ويصف منازل المدينة بقوله" **ومنازل مدينة المحرق البيضاء، التي تبرزها أكواخ النخيل داكنة اللون وكذلك قصور آل خليفة الكبيرة المنخفضة، وكذلك القلعتان أو الثلاث القريبة من شاطئ البحر، وكذلك البطارية الساحلية الطويلة، التي تصلح للاستعراض من مسافة معينة، تشكل طاقما واحداً يجدر به أن يكون رسما تخطيطيا، إن لم يكن صورة، ولقد ندمت في تلك الليلة، لأنني لم يكن معي أدوات الرسم...وترتفع على طول الخط الرملي المنخفض الذي يكمل الجزيرة مجموعات كثيرة منفصلة من الأكواخ المصنوعة من منتجات النخيل، والتي يتخللها، من حين لآخر، منزل أبيض اللون أقيم وسط أشجار النخيل الطويلة؛ والمنطقة يخيم عليها الهدوء والسكون**"[٣٣]. وهذه يؤكد لنا أن المحرق بنيت بأسلوب منظم وجميل أبهرت بالجريف بجمالها، حتى أنه تمنى أن يكون معه أدوات الرسم لرسم تلك اللوحة الجميلة التي شاهدها في المحرق.

ويصف بالجريف قلعة المحرق بقولة **" وصلنا القلعة العربية المربعة، متينة البناء والمزودة بالمدفعية تقع عند أقصى الرعّن، ويحيط بها الخارج سور خارجي طويل، كانت توجد في هذا المكان ثكنات حامية بحرينية، ولكن المبنى يستعمل إسطبلاً لخيول محمد الخليفة[٣٤] الأنيقة. كان هناك ذلولان يرعيان خارج السور، وكان سلطان عُمان قد أرسلهما قبل أيام قلائل، هدية إلى محمد الخليفة، اعترافا منه بسداد الجزية المعتادة، وكان هذان الذلولان عينة ممتازة من سلالة الذلول العُمانية الخالصة، زد على ذلك أن**

رشاقة شكل هذين الذلولين التي تشبه رشاقة الزراف، وبريق عيونها وذكائهما، ووبرهما الناعم الذي يشبه لونه لون الفئران بنية اللون، وكذلك خطوهما الخفيق والرشيق، كل هذه الأشياء التي تميز هذه الحيوانات عن أية سلالة أخرى..."[٣٥].

المنامة:

يشير بالجريف إلى أن المنامة أكبر من المحرق، غير أن شكلها غير ملفت للأنظار؛ والمنامة هي العاصمة ومركز الحكم والمركز التجاري، ولا يوجد بالمنامة غير عدد قليل من القصور والمظاهر المعمارية التي تلفت الأنظار قليلة فيها، لكن في الطرف الغربي منها توجد بناية بيضاء كبيرة وحولها عدد من المدافع مما تدلل على أن هذه البناية هي مركز إقامة علي الخليفة شقيق محمد الخليفة حاكم البحرين، وهو النائب في المنامة، ويتابع بالجريف وصفه للمنامة، ويؤكد أن عدداً قليلاً من المنازل تشرف على البحر والسبب وراء ذلك طبيعة المنازل والمتاجر التي تحجب منازل المدينة عن البحر، باستثناء مركز الحكم الذي يقيم فيه علي الخليفة الذي لا توجد أمامه منازل ولا متاجر تحجبه عن البحر[٣٦].

يصف منظر مدينة المنامة بأنه يوحي بالقذارة وذلك بسبب كثرة البحارة والصيادين الذين ينتشرون على الشاطئ ويشكلون ثلاثة أرباعه، ومنازل البحارة هؤلاء تفتقر إلى اللمحة الجمالية، وفي الناحية الغربية الجنوبية من مدينة المنامة توجد بيارات (بساتين) كثيفة شديدة الاخضرار مما يؤكد على خصوبة التربة في هذه المنطقة، ويشير بالجريف إلى أن قوارب الصيادين الكثيرة المنتشرة حول المدينة بشكل كثير زاد المدينة دكانه: في لونها[٣٧].

يشير بالجريف إلى ان وجود الأجانب في البحرين أمر طبيعى بحكم المنطقة وكثرة التجار الذين يدخلون ويخرجون من البحرين [٣٨]، وهذا يؤكد على الانفتاح التي كانت تعيشه البحرين في تلك المدة الزمنية. وشبه بالجريف المقاهي في المنامة بتلك المقاهي في البصرة وايران، ويشير إلى أن آخر مره جلس فيها في مقهى كانت في غزة قبل ثمانية أشهر من تاريخ دخوله للبحرين، ويقارن بين الدخان في الرياض والبحرين، حيث أن الرياض لا تسمح للدخان، بينما البحرين تسمح به وتنتشر النرجيلات في المقاهي، وكانت المقاهي مكاناً لسماع الأخبار للقادمين من ميناء العقير والموانئ الأخرى، حيث إن البحارة يذهبون مباشرة إلى هذه المقاهي لأنها مكان لتجمع عدد كبير من التجار والبحارة؛ حيث يتبادلون الاحاديث، فتصبح هذه المقاهي عبارة عن مكان لأخذ المعلومة من الداخل والقادم من الخارج [٣٩].

بعد ذلك بدأوا البحث عن مكان كي يناموا فيه لحين وصول أبو عيسى(مرشدهم في البحرين) قادماً من الأحساء، ويوضح بالجريف أن مسألة البحث عن مكان آمن ونظيف صعبه جداً، فالبلد تفتقر إلى لوكاندات (فنادق)، وبعد بحث ساعدهم صاحب قهوة في البحث عن مكان ينامون فيه ووجدوا أخيراً مكان مناسباً ويصف بالجريف هذا المكان بقوله:" **...دخلنا من باب ضيق، لنجد أنفسنا داخل مسور واسع كبير مصنوع من جريد النخيل يصل ارتفاعه إلى حوالي ثمانية أقدام، والجريد مثبت في الأرض جنبا إلى جنب، ومجدول إلى بعضه بإحكام؛ وكان بداخل هذا المسور كوخان طويلان مصنوعان من سعف النخيل، وتفصل بينهما مسافة قصيرة؛ وكان أحد هذين الكوخين لنا، والآخر للبحار الذي سبقت الإشارة إليه ومعه أسرته، وكان طول كوخنا يصل إلى حوالي ثلاثين قدما وعرضه عشرة أقدام، وكان سقفه من النوع المنحدر المصنوع من القش، ومن الداخل كان هناك حاجز على شكل عائق يقسم الكوخ إلى كابينتين غير متساويتين؛ وخصصنا الصغيرة منهما**

لتكون مستودعا، والثانية للمعيشة وكانت أرضية الكوخ مفروشه....بطبقة كثيفة من الأصداف الصغيرة جداً، تكاد تكون كلها من فصيل الأصداف اللولبية، التي لا يتجاوز طول الصدفة الواحدة منها ثمن بوصة..... ومن فوق أرضية الكوخ كان هناك حصير كبير من القصب"(٤٠). وفي العادة يقوم صاحب الدار باستضافة الضيوف، حيث جاء إليهم وجلب لهم طبقاً من الأرز والسمك والجمبري والخضروات، وقد أمضو أمسية سعيدة بعد فترة من التعب والبحث عن مكان يرتاحون فيه(٤١).

يصف بالجريف التجوال في الشوارع والاسواق والثرثرة والشجار، وغيرها من الأمورالتي جعلته أكثر حميمية مع المنامة من أي مكان آخر. ويتحدث عن مدينة المنامة بقوله**" والمنامة، شأنها شأن معظم المدن الساحلية، طول شاطئها أكثر من عرضه، برغم أنه يعد عريضاً نسبياً، وعرض الشاطئ في اتجاه البحر يزيد على ميل وربع الميل، في حين تمتد المنازل إلى حوالي ثلث الميل نحو الداخل، ويصل متوسط ارتفاع الأرض، التي تقع عليها مدينة المنامة إلى حوالي اثنى عشر قدما، بل أقل من ذلك، فوق مستوى ارتفاع المد؛ والساحل بعد ارتفاعه الطفيف عند الشاطئ نفسه، ينحدر مرة ثانية نحو الداخل.....والجزء الأكبر من المنازل عبارة عن أكواخ مصنوعه من جريد النخل، كل منها له مسوره الخاص؛ والوصف الذي قدمناه عن المنزل الذي نقيم فيه يصلح أن يكون وصفا عاما لجميع المنازل التي من هذا القبيل"**(٤٢). وفي وصفه للمنازل المبنية من الآجر أو الحجارة يؤكد أنها في أغلب الأحيان تكون أنيقة وواسعة، وتحتوي على أقواس قوطية، وبالكونات، وشرفات، وأروقة معمدة، ونوافذ لها شعريات شبكية، ويسكن في هذه الأماكن الأعيان والاثرياء والتجار الكبار، والعاملون في الحكومة. ويصف بالجريف السوق بقوله: **"فالسوق الذي لا يبعد كثيرا عن البحر، والذي يشكل مكاناً في منتصف طول المدينة، ليس سوى متاهة من جواري المحلات الضيقة، بعضها مقنطر، وبعضها محمى من أشعة الشمس بواسطة أسقف من القش، وفي وسط هذه المحلات توجد ساحة مربعة الشكل مسقوفة، يقع فيها المقهى الرئيسي في المدينة وهناك –أيضا- ما لا يقل عن عشرين مقهى آخر بالقرب من الشاطئ، وفي أجزاء كثيرة من المنامة يوجد عديد من المساجد، قليل منها لأهل السنة وغالبيتها لأتباع المذهب الشيعي"**(٤٣).

إلى الجنوبي الغربي من المنامة على شاطئ الخليج يوجد منزل فاخر مقر إقامة حاكم المنامة علي بن خليفة، وتحيط به عدد من الحدائق تحتوي على قليل من المزروعات، ويعود السبب في قلة عدد المزروعات أن التربة غير صالحة للزراعة، وعلى بعد ربع ميل تقريبا من هذا المكان توجد مزارع النخيل الكثيفة(٤٤).

طول جزيرة البحرين حوالي خمسين ميلاً، وعرضها ثلاثين ميلاً في أوسع أجزائها، ويؤكد بالجريف على أن مراعي نجد أفضل من مراعي البحرين، ومزارع الأحساء أفضل من مزارع البحرين، ومناخ نجد والأحساء أفضل من مناخ البحرين. وتنتشر داخل جزيرة البحرين بين خمسين إلى ستين كفراً، وهذه الكفور ليس لها ارتباط بالسوق في شمال الجزيرة ، ويصف بالجريف السكان بالهمجية، والذهنية غير المتحضرة والتي نتجت عن الاعتزال، ومعظم سكان الكفور من الطائفة الشيعية، ولاحظ بالجريف مدى الحنق والبغض من هؤلاء السكان لأهل السنة(٤٥).

٣- حكام البحرين:

يحدثنا بالجريف عن أسرة آل خليفة وأن أصلها من الأحساء وليس من مدينة الهفوف، وقد ظلت هذه الأسرة طوال قرنين من الزمان حاكمة لجزر البحرين، وتعددت التبعيات لآل خليفة؛ فتارة يحكمون البحرين باسم حكام القطيف من القرامطة، وتارة بدعم

من السلطة الفارسية، ومرة ثالثة باعتبارها تابعة لعُمان، الحقيقة التي يجب أن نذكرها هنا أن البحرين كانت تحكم من قبل آل خليفة بشكل مباشر وحكماً مطلقاً، لكن التبعية التي ذكرها بالجريف ربما تكون من باب التحالفات والأحلاف بين آل خليفة والدول والقوى الإقليمية المجاورة [٤٦]. وفي الفترة التي زارها بالجريف تمت تسوية المشاكل بين أفراد عائلة آل خليفة وبين القوى المحيطة بجرز البحرين وانتهى الأمر بسيطرة **محمد بن خليفة** على الحكم في البحرين على شكل إقطاع تابع للسلطان **ثويني**[٤٧] حاكم عُمان، وعليه أن يدفع جزيرة سنوية لنجد مقابل الأمن وراحة البال[٤٨]. وقد صادف وجود أحد أفراد العائلة الحاكمة في البحرين على متن السفينة التي أقلت بالجريف إلى جرز البحرين ويتحدث عنه أنه من الفرع الموجود في الأحساء، وأنه جاء لزيارة عمه محمد آل خليفة الحاكم الفعلي للبحرين في هذا الوقت. ويشير إلى كرمه وانه دعاهم لمشاركة المكان والطعام على ظهر السفينة، وقد لبى بالجريف الدعوة بسبب أن المكان والطعام هذا أفضل من مكانهم وطعامهم [٤٩].

يتحدث بالجريف عن محمد بن خليفة وحياة الترف والبذخ التي يعيشها، والزيجات التي يتزوجها، حيث يذكر أنه كل أسبوعين يُطلّق واحدة ويتزوج من أخرى ويصحب ذلك البذخ والترف الذي يعقب زواجه، وقد شبه محمد بن خليفة **بشارل الثاني** الذي لا يهتم برفاه رعيته [٥٠]. وهنا لا بد من التعليق على هذا الكلام، صحيح أن الأمراء لديهم مساحة شاسعة من الحرية في الزواج والطلاق، لكن أن يصل الأمر كل أسبوعين يتزوج أعتقد أن هذا الكلام غير صحيح وربما كانت العامة تتحدث به دليلاً على كثرة زيجات محمد بن خليفة، وقام بالجريف بتسجيل هذا الكلام.

٤- الحياة الاقتصادية في البحرين:

١-الزراعة.

العمل بالزراعة في جزيرة البحرين وفلاحة الأرض يعتبر المصدر الأساسي للسكان، حيث يوفر كل ما يحتاجونه والفائض من الإنتاج يقومون ببيعه في أسواق المنامة، هذا الفائض لا يصدر إلى الأماكن البعيدة لأن كميته قليلة [٥١]. وهناك من يقوم بصيد السمك، ويشير بالجريف إلى أن بعض السكان من يسكنون بالقرب من الجبل ويقومون بالقنص، لكن هذا لا يعتبر مصدراً للدخل، لأن كمية القنص قليلة ولا يعتبر مصدراً للدخل [٥٢]. لكن فقر التربة يعد عائقاً كبيراً لازدهار الزراعة في البحرين، ورغم فقر التربة إلا أن الحمضيات تزرع بكثافة في البحرين ويؤكد بالجريف أنه لم يَرَ في حياته ثمار الحمضيات بهذا الحجم، كما يوجد النخيل بكثافة في البحرين لكن نوعيه التمر سيئة كما يصفها [٥٣]، إذا ما قورن النخيل بنخيل الأحساء والقصيم فلا يوجد مقارنة بين هذا النخيل ونخيل البحرين لا من ناحية الإنتاج ولا الجودة والطعم.

أما عن الثروة الحيوانية فيشفق بالجريف على الإبل حيث إنَّ المناخ لا يناسبها خاصة تربه البحرين رطبة ومناخها رطب لا يناسب هذه المخلوقات الجسيمة ويصفها: **"هذه المخلوقات المسكينة تبدو عليها التعاسة والحزن"**[٥٤]. والمعروف أن الإبل بحاجة إلى بيئة صحراوية ومسافات شاسعة حتى تستطيع العيش لأن طبيعة جسم هذا الحيوان تتناسب مع البيئة الصحراوية القاحلة.

وعن الحيوانات الأخرى يؤكد بالجريف أنه يوجد ثيران وأبقار لكن أجسامها ضعيفة جداً، والضأن قليل في البحرين، لكن توجد الحمير بكميات أفضل من الأبقار والثيران، والسمك بكافة أنواعه "القشرية، والجلدية، والصدفية يوجد بكميات كبيرة جداً،

ونتيجة لذلك يعد السمك الغذاء الرئيسي للسكان في جزر البحرين، ويقارن بالجريف بين أسعار السمك في البحرين وسواحل البحر المتوسط، حيث يؤكد أنه لا توجد مقارنة في الأسعار بينهم، حيث يصل إلى نسبة واحد على عشرين. ويخلص بالجريف إلى قوله **"إن البحرين هي ابنة البحر، كما أن البحر، سيظل دوما بمثابة أمها الرؤوم؛ والواقع أن السباع الطرية التي ورد ذكرها عند القديس مارك في البندقية هي التي تشكل المعيار الرئيسي لرفاه البحرين ومواردها"**(٥٥).

٢- صيد اللؤلؤ:

يؤكد بالجريف أن صيد اللؤلؤ من الحرف المهمة التي يشتغل بها نصف سكان البحرين (٥٦)، ويوجد صدف اللؤلؤ في شمالي البحرين على طول سواحل القطيف والجزر المجاورة لها، لكن هذه المناطق لا تقارن بالمصائد حول جزر البحرين الغنية باللؤلؤ، ويفرض محمد الخليفة (حاكم البحرين) نسبة مئوية على كل ما يصطاده صيادوا اللؤلؤ، والذي يحاول أن يصيد اللؤلؤ دون موافقة الحكومة يعرض نفسه للعقوبة، وقدر بالجريف عدد قوارب صيد اللؤلؤ في البحرين بحوالي ألفى أو ألفين وخمسمائة قارب تقريباً (٥٧). هذا مما يؤشر على الأهمية الكبيرة لصيد اللؤلؤ في البحرين وما تمثلة هذه الحرفة من مصدر مهم لسكان البحرين الذين اعتاشوا على هذه الحرفة مدة زمنية كبيرة، كانت المصدر الرئيس للدخل في البحرين.

ويذكر بالجريف أن موسم صيد اللؤلؤ في البحرين يبدأ في شهر (نيسان) أبريل ويستمر حتى شهر (تشرين أول) أكتوبر من كل عام؛ والعبيد والزنوج هم الذين يقومون بعمليات الغوص بحثاً عن اصداف اللؤلؤ، لأنهم يتحملون البقاء تحت الماء أكثر من غيرهم من السكان، ويشير بالجريف إلى أن هناك أعداداً كبيرة من هؤلاء العبيد والزنوج في البحرين؛ حيث تعتبر البحرين مكاناً أكثر تحرراً من داخل الجزيرة العربية ومن الممكن ممارسة بعض الهوايات والتي لا يمكن لهم ممارستها في داخل الجزيرة العربية(٥٨).

٥- الحياة الاجتماعية في البحرين كما وصفها بالجريف.

يصف بالجريف ثياب الطاقم الذي كان مسؤولاً عن السفينة التي أقلته من القطيف إلى جزر البحرين بقوله " **وثياب هذا الطاقم غريبة جداً، إذ تتكون من إزار كبير من القماش الملون يلف حول الوسط، يربط بإحكام بين الرجلين أثناء أداء العمل، ولكنه يترك فوق الركبتين في غير أوقات العمل، ويلبسون بدلة شغل من فوق هذا الإزار، ومنديل كبير يعقد حول الرأس، أو قد يلبسون العمامة بدلا من المنديل عند اعتدال الطقس وأثناء فترة الراحة عندما يتجولون على ظهر المركب؛ أخيرا فهم يتشحون بمشلح لونه بني مائل إلى الاحمرار يضعونه على أكتافهم..."**(٥٩). ويؤكد بالجريف أن البحارة العرب لا يشكلون طبقة في داخل المجتمع العربي، وهذا يؤشر لنا على أن المجتمع الأوروبي كان يعاني من الطبقية، ويعلل بالجريف عدم تشكل طبقة للبحارة العرب أن الفترة التي يقضيها البحار داخل البحر مدة قليلة، بمعنى آخر: أن البحارة لا يبتعدون عن المجتمع العربي في البر(٦٠). وهذا مما يوضح لنا طبيعة العقلية التي كانت ظاهرة في أوروبا في هذه المدة حيث إن الطبقية والطبقات الاجتماعية كانت ظاهرة معروفة في المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى وتأثيرها يبدو أنه ما زال ظاهراً على فكر بالجريف وعقله.

السكان كما وصفهم بالجريف:

قدر بالجريف عدد سكان جزيرة البحرين بحوالي سبعين ألف نسمة تقريباً، لكنه ذكر أن هذا العدد في تناقص(٦١)، ولم يذكر لنا السبب وراء هذا التناقص. ويصف السكان بقوله" **وهؤلاء السكان ليسوا طوال القامة أو أقوياء الأطراف، فضلاً عن أنهم ليسوا بيضاً**

تماماً أو سمراً تماماً، ولا هم بالأصحاء أو المرضى كلية؛ ومع ذلك فإن مظهر هؤلاء السكان يدل على سرعة البديهة، والرشاقة، وحسن الطبع، وقدر معلوم من الروح الطيبة مما يجعلنا نطلق على هؤلاء السكان من قبيل الاختصار اسم "العرق الصنّاع"، المحب للازدهار الذي يصلح للسلام أكثر من الحرب، وللتجارة أكثر من الزراعة، وربما للبحر أكثر من البر"[٦٢].

يذكر بالجريف أن نسبة أهل السنة في البحرين سدس السكان تقريباً، ويتبعون المذهب المالكي المنتشر في مصر والشمال الأفريقي، والأسداس الخمسة المتبقية هم من الشيعة طبقاً للمذهب الإيراني[٦٣]. وهنا لا بد لنا من وقفه حول عدد السكان السنة؛ لأنه من غير المنطق والمعقول أن تكون نسبة السنة في البحرين ١ إلى ٦ من عدد سكان جزيرة البحرين... وهناك عدد من السكان المتجانسين من أعداد كبيرة من الغرباء والمستوطنيين، ويؤكد بالجريف أن قسماً من هؤلاء يقيم منذ زمن بعيد إما للتجارة أو لصيد اللؤلؤ، غير أن هؤلاء السكان ما زالوا محافظين على سماتهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم، فيستطيع الإنسان أن يرى الثياب القصيرة زاهية الألوان التي يرتديها الناس في جنوبي إيران، ونجد الصدرية العُمانية المرقشة باللون الأصفر البرتقالي، ويجد الثوب الأبيض النجدي، والرداء البغدادي المقلّم، مختلط كل ذلك مع الثياب البحرينية والعمامة المكونة من اللونين الأزرق والأحمر، والفوطة ذات الحواف الحريرية التي تلف حول الوسط ويسمونها النبيان، والرداء السروالي. كما أشار بالجريف إلى وجود عدد من السكان الهنود الذين جاءوا إلى البحرين للتجارة وصيد اللؤلؤ، وما زال هؤلاء الهنود محافظين على عاداتهم وسلوكياتهم الخاصة بهم، ويؤكد على أن هؤلاء الهنود "تعيش بينهم، ولكنها لا تعيش معهم"[٦٤]. على الرغم من وجود هذا العدد الكبير من الأجانب والمستقرين في جزيرة البحرين منذ زمن بعيد نستطيع أن نقول إنَّ الإحصائية التي ذكرها عن عدد السكان ونسبة السنة السدس العدد الموجود، أعتقد أن هذا النسبة بحاجة إلى مراجعة ومزيد من التمحيص، لأنه من غير المنطق ولا المعقول أن يكون نسبة السنة سدس السكان في البحرين مع هذا الكم الهائل من الأجانب كما يذكر هو نفسه.

الطبقات الفقيرة من السكان في البحرين تشتغل في صيد اللؤلؤ، أما الطبقات الغنية فتعمل في التجارة داخل حدود البحرين أو بين البحرين وشواطئ الخليج العربي، وربما يصلون إلى كراتشي أو بومباى والبصرة، لكن لا مجال للمقارنة بين تجار البحرين والتجار العُمانيين أو الهنود الذين يعيشون بينهم. ويشير بالجريف إلى الحرف اليدوية الذين يتقنون وخاصة النسيج والعمل بالمعادن والخشب والخياطة والصباغة، ويقول عنهم "...فإن البحرانيين ليس لهم مثيل في كل أنحاء الشرق."[٦٥]. ويصف المصنوعات اليدوية الشرقية بأنها تتفوق كثيرا على الفن والذوق الأوروبي، لكنه يؤكد على أن الحرف التي تحتاج إلى علم في حال يرثى لها[٦٦].

ويشير بالجريف الى أن جزر البحرين طارده للسكان، حيث إن هناك كثيراً من الجماعات التي هاجرت من البحرين لأسباب مختلفة منها اقتصادي وسياسي واجتماعي، فالبعض هاجر من أجل إيجاد مكان أفضل للتجارة فتجد التجار البحارنة منتشرين على شواطئ الخليج العربي، وقد قام عدد من البحارنة بإعمار جزيرة الجعر[٦٧] التي لم يكن فيها سكان وتحولت هذه الجزيرة إلى واحدة من أهم المراكز التجارية في الخليج العربي. وهذه الجزيرة كانت تتبع سلطان عُمان الذي وصفه بالجريف بأنه أرشد نظام حكم في الخليج في تلك المدة الزمنية[٦٨].

ويذكر بالجريف أن البحرينيين أكثر انفتاحاً من النجديين ويعود السبب في ذلك لموقع البحرين البحري ووجود الأجانب في البحرين، وتستطيع أن تلحظ ذلك من خلال معرفة السكان ببعض مفردات اللغات حيث يقول بذلك: "من هنا نجد أهل البحرين، يسمون "البريطانيين English والفرنسيين Fernch، الإنجليز Ingleez والفرنسيز Fransees وهاتان الكلمتان يشيع استعمالهما في المنامة. والروس أو المسكوف Moscop (أي أهل موسكو أو إن شئت فقل: المسكويين Muscovites مشهورون في البحرين ويخشاهم الناس بفعل الاتصال ببلاد فارس(٦٩). ويشير بالجريف إلى حديث الناس في البحرين ،حيث كان يتمحور حول سياسة القسطنطينية وطهران والتعديات التي تحدث بينهم، علاوة على ذلك الحديث عن الدبلوماسية العاصفة التي تنتهجها نجد ومناقشة التحديات التي تواجههم، وينصب جانب من الحديث عن أخبار السفن والتجارة والمال والأعمال، والادب لكنه لم يسمع كلمه واحدة عن الجدل الديني، ويخلص بالجريف إلى القول:" إننا وجدنا في البحرين، بدلا من المتطوعين والمتزمتين، والجمّالة، والبدو، شيئا يشبه رجال العالم، الذين يعرفون العالم بوصفهم رجالاً، وهو ما يسبب ارتياحا كبيراً للعقل؛ ومما لا شك فيه، أن ذلك أراح عقلي إلى حد كبير"(٧٠).

الخاتمة

لا شك أن بالجريف من الرحالة القلائل الذين جالوا في الجزيرة العربية وقد خالط الناس وتعرف على حيثيات حياة المجتمعات العربية التي زارها، واختلط بأهلها.

استطاع بالجريف أن يصف جزر البحرين وصفا دقيقاً من الناحية الجغرافية. وفصَّل في توصيفه لطبيعة الأرض في جزر البحرين ونوعية التربة والسواحل، وعمق المياه في الخليج بين الساحل الشرقي للجزيرة العربية والبحرين.

أعطى بالجريف وصفاً دقيقاً للمباني من حيث المساحة والموقع، وصور المباني الحكومية والقصور التي تعود إلى حكام البحرين، من حيث مساحة المباني الحكومية والقصور وإطلالتها على البحر.

وصف بالجريف طبيعة الحياة الاجتماعية في البحرين وقارنها بين بالمناطق التي زارها قبل دخوله للبحرين كالأحساء والقصيم، وبين الاختلاف في طبيعة الحياة بينهم. كما قارن بين المجتمع في البحرين والمجتمع الأوروبي الطبقي.

علق بالجريف على الحياة الاقتصادية في البحرين، فذكر اللؤلؤ، وصور أشكال الحيوانات الموجودة في البحرين كالإبل والأبقار والأغنام...إلخ.

الملاحق: ملحق (١)

١- مخطط لرحلة بالجريف.

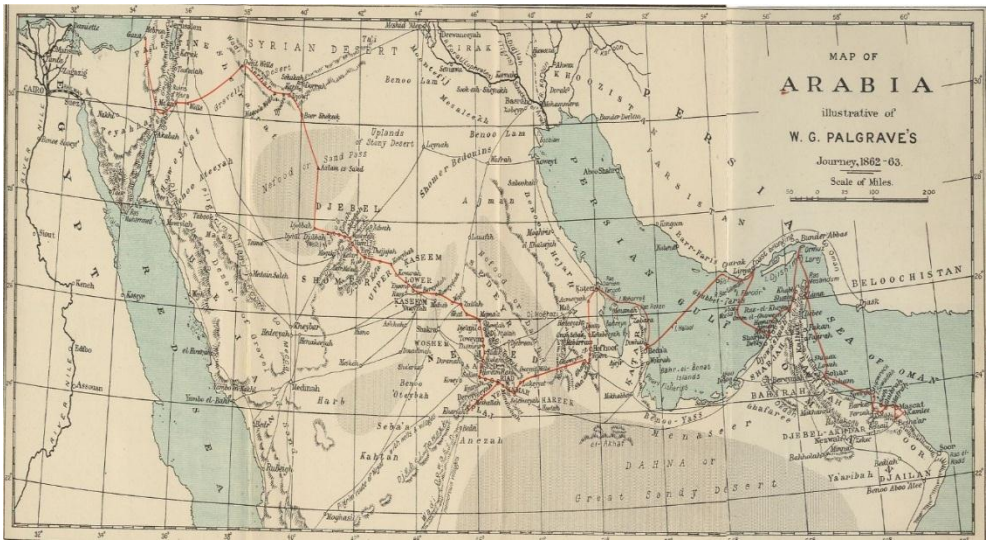

ملحق (٢). خريطة البحرين:

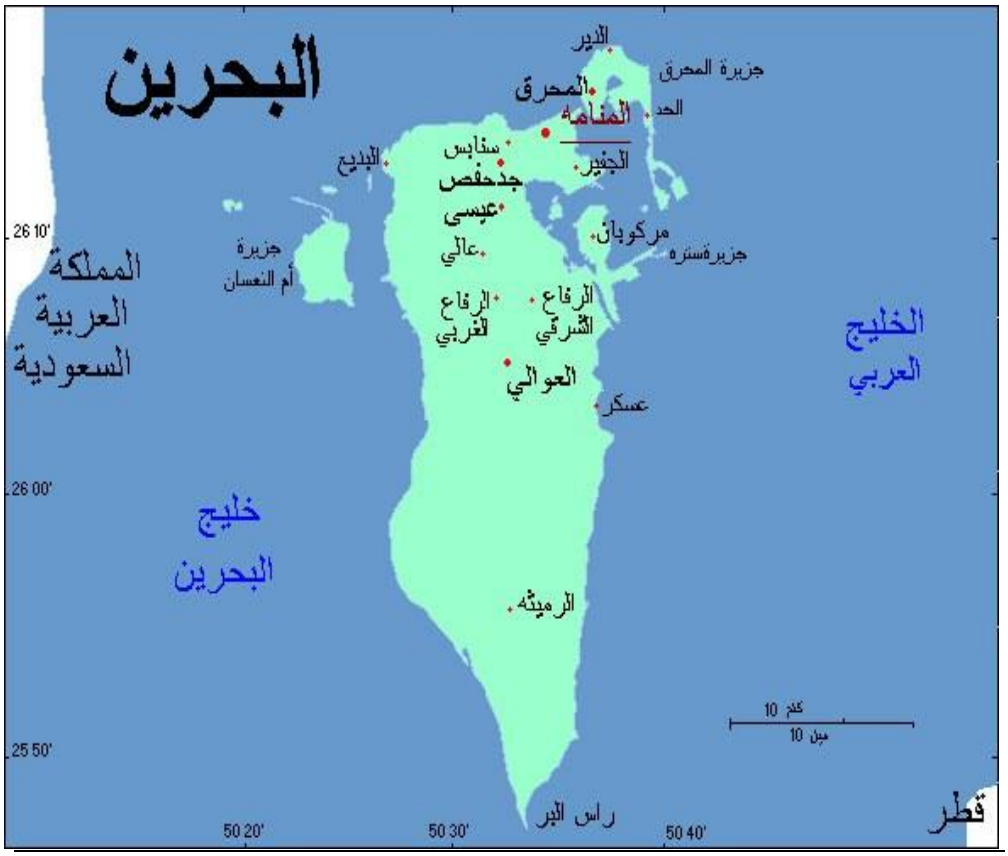

Abstract

Bahrain on a trip to Palgrave ١٨٦٢ AD

By Fathi Mohamed Daradkeh

This research deals with the image and description of Bahrain in the journey of Palgrave conducted in ١٨٦٢. He is considered one of the travelers who recorded their impressions of the Arabian Peninsula. The research has five main axes, an introduction, a conclusion and two annexes. The first axis talks about the journey and the traveler, while the second axis examines the image of Bahrain as described by Palgrave. The third axis talks about the rulers of Bahrain during his journey. The fourth and fifth axes dealt with the economic and social life of Bahrain as he portrayed them

الهوامش

(١) محمد عبدالله آل زلفة، حائل في رحلة بلجريف (الرياض: دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤) ص١٥.
وانظر: دايل بن علي الخالدي الأحساء في رحلة وليام بالجريف ١٨٦٢-١٨٦٣م/١٢٧٩-١٢٨٠م) حوليات المؤرخ المصري، نوفمبر ٢٠١٤/ محرم ١٤٣٦هـ ، جامعة القاهرة /كلية الآداب، ص١١.

(٢) دايل الخالدي، الأحساء في رحلة بالجريف، ص١١.

(٣) روبن بدول، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة: عبدالله آدم نصيف، (الرياض: د.ن، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص ٦٧. وانظر عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم، روايات غربية عن شبة الجزيرة العربية(بيروت: دار الساقي، ٢٠١٣) ج(٢) ص١٠١.وانظر: دايل الخالدي، الأحساء في رحلة بالجريف، ص١١.

(٤) آل زلفة، حائل في رحلة بلجريف، ص ١٥، وانظر: دايل الخالدي، الأحساء في رحلة بالجريف، ص١١.

(٥) عوض البادي، الرحالة الأوربيون في شمال وسط الجزيرة العربية/ (حائل: نادي حائل الأدبي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤) الجزء(١) ص ٩٤. وانظر دايل الخالدي، الأحساء في رحلة بالجريف، ص١١.

(٦) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، روايات غربية، ج(٢) ص ١٠٢.

(٧) روبن بدول، الرحالة الغربيون، ص٦٧؛ عوض البادي، الرحالة الأوروبيون، ج(١) ص٩٤، وانظر: دايل الخالدي، الأحساء في رحلة بالجريف، ص١١.

(٨) روبن بدول، الرحالة الغربيون، ص٦٧، وانظر:دايل الخالدي، الأحساء في رحلة بالجريف، ص١١.

(٩) ريغينالد هيو كيرنان، كشف اللثام عن جزيرة العرب-قصة الترحال والكشوف في أنحاء الجزيرة- ترجمة: بشر العظمة تحرير وتعليق: أحمد ابيش، (أبو ظبي:هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ص ٣٠٤؛ وانظر: آل زلفة، حائل في رحلة بلجريف، ص١٥؛ وانظر: دايل الخالدي، الأحساء في رحلة بالجريف، ص١١-١٢.

(١٠) عوض البادي، الرحالة الأوروبيون، ج(١) ص٩٦، وانظر: دايل الخالدي، الأحساء في رحلة بالجريف، ص١٢.

(١١) مواضع متعددة من رحلة بالجريف..

(١٢) رحلة بلجريف ١٠/١.

(١٣) نفسه ١٠/١.

(١٤) نفسه، ١٠/١

(١٥) نفسه، ٥/١، وانظر: دايل الخالدي، الأحساء في رحلة بالجريف، ص١٣.

([١٦]) انظر: خط مسار الرحلة في الملحق رقم (١).

([١٧]) معان: مدينة أردنية مشهورة، استمدّت شهرتها من كونها مركزاً رئيسياً من منازل الحج إلى يومنا هذا، وهي تقع في جنوب الأردن على خطّ الطول ٤٤´- ٣٥° شرقاً والعرض ١٢´- ٣٠° شمالاً، وهي على مسافة (٢١٠كم) إلى الجنوب من العاصمة عمّان، وجنوباً منها على مسافة (١١٥كم) تقع مدينة العقبة، وتمرُّ من غربيها الطريق الرئيسة الواصلة بين عمّان والعقبة. المهدي عيد الرواضية، مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن، ج(٢)، (عمان: منشورات اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، ٢٠٠٧) ص ٣٧١-٣٧٢.

([١٨]) الجوف: بالفتح والجوف في اللغة: الواسع من الأرض، جمعه: أجواف، وكذا هو الأرض المنخفضة قال الأصفهاني: (فإذا أخرجت من الأحساء أتيت الأحواف وهي قرى ومياه). وذكر لوريمر في كتابة دليل الخليج: صفة أرض الجوف، وأنه إقليم رملي ومنخفض ويتكون سطحه من روابي ونجاويف رمليه، وذكر من أشجاره: المرخ والغضاء وفي المراعي يوجد العرفج والرمث وحشائش النصي، والثمام وعدد من قراه: عصفيرات وعين دار وفودة وأبو الظلوف ودميغ وأبو الحمام ..... عبد الرحمن عبد الكريم العبيد: الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، ج(٢) (الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ١٤٢٦هـ) ص ٢٨٨-٢٨٩.

([١٩]) حائل: على اسم المدينة المعروفة: نقل البكرى في معجم ما استعجم عن أبي حاتم: حائل طائفة من رمل يبرين، ويبرين من بلاد بني تميم، موضع كثير الرمل، وأنشد للراعي: تهافت واستبكال رسم المنازل بقارة أهوى أو ببرقة حائل. حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية، (البحرين سابقاً)، (الرياض: منشورات اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٤٧٠.

([٢٠]) الأحساء: بفتح الألف وإسكان الحاء المهملة وفتح السين المهملة بعدها ألف ممدودة، والأحساء جمع "حسي" وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل، فإذا صار إلى صلابه أمسكته، فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه. ويقع إقليم الأحساء على الشاطئ الغربي للخليج العربي، ويمتد من البصرة في الشمال إلى عُمان في الجنوب ، وقد اطلق على هذا الإقليم أسماء مختلفه عبر العصور منها العدان، وهجر والخطو، منذ القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي أصبح اسم الأحساء هو الاسم الذي يطلق على قاعدة البلاد هذه وعم الاسم الأقليم بشكل كامل، كما تعد الأحساء أحدى نوافذ الجزيرة العربية على الخليج العربي، وكانت مينائيها العقير والقطيف من أبرز موانئ شرق الجزيرة العربية، دخلت الأحساء "هجر" في الإسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وظلت تتبع مقر الخلافة الإسلامية في الحجاز أو دمشق أو بغداد حتى استولى عليها القرامطة في نهاية القرن الثالث الهجري، ثم تتابع على حكم الأحساء عدة أسر وقبائل ودول إلى أن تمكن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود من ضمها الى الرياض في العام ١٩١٣م، ومنذ تلك المرحلة وحتى الان تتبع جزءاً أساسياً من المملكة العربية السعودية. للاطلاع على المزيد راجع: محمد بن عبدالله آل عبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة (الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. م٢٧/١ وما يليها. وانظر حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية، (البحرين سابقاً)، (الرياض: منشورات اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١/١٢٠-١٣١.

([٢١]) القطيف: بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء وآخره فاء، على بناء فعيل مشتق من قطف التمور والعناقيد ونحوها. واحة تقع على ساحل الخليج العربي، وتشتمل على عديد من القرى، تمتد من صفوى إلى الظهران واسمها في المراجع القديمة (الخط) يقول ابن المقرب:

والخط من صفواء حازوها فما أبقوا بها شبرا إلى الظهران.

وهي اليوم واقعة على خط الطول ٥٠ درجه وخط العرض ٢٦,٣٢ درجه والمؤرخون يرجعون تاريخ القطيف ولا سيما قاعدتها القلعة إلى ثلاثة آلاف سنة، وتدل الخرائب الأثرية المنتشرة على قدم هذه البلدة وعلى تأكيد طابعها الأثري القديم. وهي اليوم ذات قرى عامرة آهله بالسكان، وتبعد عن مدينة الدمام ١٩.٣كم وفيها إمارة مرتبطة بإمارة المنطقة الشرقية، ويتبعها مركز إمارة صفوى، ومركز إمارة سيهات.عبد الرحمن عبد الكريم العبيد: الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، ج(٢) ص ٢٠٣-٢٠٥.

([٢٢]) راجع رحلة بلجريف صفحات متفرقة.

(٢٣) هو الابن الأكبر للإمام فيصل بن تركي آل سعود، وساعده الأيمن في قيادة المعارك، إدارة شؤون البلاد، ولهذا اختاره ولياً للعهد، وفي أواخر حياة أبيها تسلم عبدالله بن فيصل العبء الأكبر من السلطنة، وكان أخوه محمد يعاونه في الحكم، أما اخوه سعود بن فيصل فكان ينافسه دائماً في حياة ابوهما. بويع عبدالله بن فيصل بالرياض بعد وفاه والده ١٢٨٢/١٨٦٥م، فنظم أمور الدولة ولكن أخاه سعوداً خالفه وكان يطمح بفي إزاحه عبدالله بن فيصل عن الحكم، وفي عام ١٢٨٨ه استطاع سعود أن يحصل على الحكم وينحي أخاه عبدالله وبقى عبدالله خارج الرياض حتى مات سعود سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٥م زحف عبدالله الفيصل ودخل إلى الرياض وبويع بالإمامة سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧١م وحصل خلافات كثيرة بينه وبين أبناء سعود بعد أن عسكروا في الخرج، وتوفى سعود في ربيع الآخر ١٣٠٧هـ/ نوفمبر ١٨٨٩م. www.mogatel.com

(٢٤) رحلة بلجريف، ص١٤٣/٢.

(٢٥) ٢٣٥/٢.

(٢٦) ٢٣٦/٢.

(٢٧) ٢٣٦/٢.

(٢٨) ٢٣٦/٢.

(٢٩) ٢٣٦/٢.

(٣٠) ربما وجدت بضائع من بلاد فارس في هذه المدينة وبضائع غربية؛ لأن هذه المدينة كانت محطة تجارية مهمة، حيث يجتمع بها التجار من الشرق والغرب.

(٣١) ٢٦٢/٢.

(٣٢) راجع خريطة البحرين في الملحق رقم (٢).

(٣٣) ٢٣٧/٢.

(٣٤) ظهر الشيخ محمد بن خليفة في قطر عام ١٨٤٣م، وبدأ في مراسلة اتباعه في البحرين إلى أن استطاع أن يستلم السلطة في البحرين في نيسان عام ١٨٤٣م، وكان لدية عدد كبير من المشاكل الداخلية والخارجية وهناك من يرفض أن يحكم البحرين... لمزيد من الاطلاع على تاريخ محمد بن خليفة راجع: مي محمد الخليفة، محمد بن خليفة ١٨١٣-١٨٩٠م، الأسطورة والتاريخ الموازي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م) ص ٣٧١ وما بعدها.

(٣٥) ٢٦١/٢.

(٣٦) ٢٣٧/٢.

(٣٧) ٢٣٨/٢.

(٣٨) ٢٣٨/٢.

(٣٩) ٢٣٩/٢.

(٤٠) ٢٤١/٢.

(٤١) نفسه.

(٤٢) ٢٤٢/٢.

(٤٣) ٢٤٣/٢.

(٤٤) ٢٤٣/٢.

(٤٥) ٢٤٤/٢.

(٤٦) ٢٣٣/٢.

(٤٧) السلطان ثويني: تدرب على شؤون الحكم في حياة أبيه سعيد بن سلطان وكان ينوب عن أبيه في حكم عُمان منذ عام ١٨٣٣م، حكم السلطان ثويني من ١٨٥٦-١٨٦٦م، بعد وفاة والده وبعد ذلك نشب صراع بينة وبين أخيه السلطان ماجد في زنجبار، فقد خلت بريطانيا وصدر تحكيم كاينج (Canning Arbitration)

بتقسيم الإمبراطورية العُمانية بحيث أصبح ثويني سلطاناً لعُمان وتوابعها، وماجد سلطاناً على زنجبار وملحقاتها، قتل على يد ابنه سالم بن ثويني يوم ٢٧ رمضان ١٢٨٢هـ. الموسوعة العُمانية، م(٣) (مسقط: وزارة الثراث اوالثقافة، ٢٠١٣). ص ٨٥٥-٨٥٦.

([٤٨]) ٢٣٤/٢.

([٤٩]) ٢٣٤/٢.

([٥٠]) ٢٥١/٢.

([٥١]) ٢٤٤/٢.

([٥٢]) ٢٤٤/٢.

([٥٣]) ٢٤٩/٢.

([٥٤]) ٢٤٩/٢.

([٥٥]) ٢٤٩/٢.

([٥٦]) ٢٤٨/٢.

([٥٧]) ٢٤٧/٢-٢٤٨.

([٥٨]) ٢٤٨/٢.

([٥٩]) ٢٣٠/٢-٢٣١.

([٦٠]) ٢٣١/٢.

([٦١]) ٢٤٤/٢.

([٦٢]) ٢٤٥/٢.

([٦٣]) ٢٤٥/٢.

([٦٤]) ٢٤٥/٢-٢٤٦.

([٦٥]) ٢٤٨/٢.

([٦٦]) ٢٤٩/٢.

([٦٧]) جزيرة الجعر:

([٦٨]) ٢٥١/٢.

([٦٩]) ٢٥٤/٢.

([٧٠]) ٢٥٤/٢.

قائمة المصادر والمراجع:

١-إبراهيم، عبد العزيز عبد الغنى: روايات غربية عن شبة الجزيرة العربية ج(٣) (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٣).

٢-البادي، عوض: الرحالة الأوربيون في شمال وسط الجزيرة العربية/ جزئين (حائل: نادي حائل الأدبي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤).

٣-بدول، روبن: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة: عبدالله آدم نصيف، (الرياض: د.ن، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٤-الجاسر، حمد: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية، (البحرين سابقاً)، (الرياض: منشورات اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٥- الخالدي، دايل بن علي: الأحساء في رحلة وليام بالجريف ١٨٦٢-١٨٦٣م/١٢٧٩-١٢٨٠م) حوليات المؤرخ المصري، نوفمبر ٢٠١٤/ محرم ١٤٣٦هـ ، جامعة القاهرة /كلية الآداب،.

٦-الخليفة، مي محمد: محمد بن خليفة ١٨١٣-١٨٩٠م، الأسطورة والتاريخ الموازي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م).
٧-الرواضية، المهدي عيد: مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن، ج(٢)، (عمان: منشورات اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، ٢٠٠٧).
٨-آل زلفة، محمد عبدالله: حائل في رحلة بلجريف (الرياض: دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤) .
٩-كيرنان، ريغينالد هيو: كشف اللثام عن جزيرة العرب-قصة الترحال والكشوف في أنحاء الجزيرة- ترجمة: بشر العظمة تحرير وتعليق: أحمد ابيش، (أبو ظبي:هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .
١٠-آل عبد القادر، محمد بن عبدالله: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة (الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
١١- العبيد، عبد الرحمن عبد الكريم: الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، ج(٢) (الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ١٤٢٦هـ).
١٢- الموسوعة العُمانية، م(٣) (مسقط: وزارة التراث اوالثقافة، ٢٠١٣).
www.mogatel.com
http://ar-wiki.com/worldwide/٧٢١٣/